فصلية النّقد و الأدب المقارن (بحوث في اللّغة العربيّة و آدابها)
كلّيّة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة رازى – كرمانشاه
السّنة الأولى، العدد ۴، شتاء ۱۳۹۰ هـ. ش/ ۱۴۳۳ هـ. ق/ ۲۰۱۲ م، صص ۷۵-۱۰۲

تحليل خطبة الغدير على منهج تحليل الخطاب الأدبي*

الدكتورة آفرين زارع
أستاذة مساعدة في قسم اللّغة العربية و آدابها- جامعة شيراز
طاهرة طوبائي
الماجستيرة في فرع اللغة العربية و آدابها- جامعة شيراز

الملخّص

كانت الخطابة منذ القدم، من أهمّ وسائل العلاقات بين أبناء المجتمعات حتّى أصبحت فنّاً من فنون البيان تحاول التأثير في المخاطبين و إقناعهم و حفزهم نحو ما يقصده الخطيب. فيحشّد الخطيب كلّ مجهوده للنّجاح في خطبته لبلوغه غايته المنشودة، فلا ينكر مدى أثر الجماليات الأدبية في نجاح الخطيب و إقناعه السّامعين و التأثير المتعمّق فيهم. و خطبة الغدير الملقاة بلسان من هو أفصح من نطق بالضّاد، و هي آخر خطبه و أكثرها طولاً، ترتجى فيها هذه الميزات الأدبية. و بما أنّ هذه الخطبة قد بقيت مخمولة الذكر في الأدب العربي رغم أنّ لها مؤهّلاتها لتدرجها في النثر الفنّي؛ هذه المقالة تحاول تحليل خطبة الغدير على منهج تحليل الخطاب الأدبي. و يتمّ هذا الأمر بعد عرض الخطبة موجزاً و تحليل الخطاب فيها. توصّلت المقالة إلى أنّ النبّي (ص) في إستراتيجية خطابه يستعمل آليات إقناعية مختلفة للوصول إلى غايته، فيهتمّ بالألفاظ و الصوت و الأسلوب و المضمون، فظهرت خطبة الغدير في قمّة النثر الفنّي بكلّ مؤهلاتها الأدبية و ميزاتها الفنيّة.

الكلمات الدّليليّة: خطبة الغدير، تحليل الخطاب، الخطاب الأدبي، المرسل، المتلقّي.

---

* تاريخ الوصول: ۱۳۹۰/ ۷/ ۲۰ تاريخ القبول: ۱۳۹۰/ ۱۱/ ۲۵
العنوان الإلكتروني للكاتب المسؤول: A. Zare@rose. shirazu. ac. ir

Archive of SID
www.SID.ir

۱. مقدّمة

الخطابة فنّ من فنون البيان، تعمل على إقناع المخاطبين و تحاول التّأثير فيهم، والخطيب بما أنّه يهدف الإقناع يحاول ليختار كلمات تفصح عن معناها و عبارات تبلغ مراده حسب مقتضى حال المخاطب و مقام الخطاب؛ و إذا أضاف الصّنائع الأدبيّة ضاعف جمالها.

تحاول هذه المقالة لتفصح عن إجابة هذه الأسئلة: ۱. ما هي الميزات الأدبية لخطبة الغدير؟، ۲. كم استعمل النبي الصنائع و الجماليات الأدبية؟ ۳.كيف أثّرت هذه الجماليات في إقناع المخاطب؟ لتبين أن هذه الخطبة تؤهّل لتدرج في عداد أحسن نماذج النثر الفنيّ بما لها من ميزات أدبية تكاد لا توجد في نثر صدر الإسلام حتى في رسائل و خطب النبي إلا خطبته هذه.

و أمّا الضرورة الباعثة لدراسة هذه الخطبة فهو أنّ هناك عددا كبيرا من الدّراسات قد اختصّت بمعالجة آثار النّبيّ من الحديث و الرّسالة و الخطبة؛ لكن رغم كلّ هذه الدّراسات الهائلة قد بقيت خطبة الغدير مخمولة الذّكر في الأدب العربي، حيث لم نجد ما درس هذه الخطبة رغم أنّها أطول خطب النّبيّ و آخرها و فيها ما يبيّن طريق سعادة البشر و هدايته إلى يوم القيامة. فيبدو من الضّروري كشف السّتار عن هذه الخطبة الهامّة أدبيّاً و مضموناً؛ لتبيين ميزاتها الأدبية و الفنّية الفريدة و التعرّف على مواضيعها الهامّة.

وما تهدفه هذه المقالة هو تبيين الميزات الأدبيّة لخطبة الغدير بصفتها أحسن نماذج النّثر الفنّي في صدر الإسلام و أثرها في المتلّقي.

و أمّا من الدّراسات السابقة في هذا المجال، فيمكن الإشارة إلى ما اعتنى بنثر النّبيّ و هوكتاب *كلام نبوى در ادب عربى* لسيّد فضل اللّه ميرقادري. فالكاتب قد جاء بتحليل بعض الخطب و الرّسائل و الأحاديث للنبيّ لغة و معنى و مضموناً. لكن عند البحث عمّا عالج هذه الخطبة لا يوجد تحليل علمي أو أدبي لها إلا كتاب "سخنرانى استثنايي غدير" لـــ"محمد باقر أنصاري" الذي قد عالج في الكتاب كلّ الظروف التي قد ساهمت في إنشاء خطبة مثل هذه و لم يتطرّق إلى تحليل الخطاب أو النص إلا قليلا. لكنّ المقالة هذه تركزّ على الخطاب و تحلّل وحداته تحليلا أدبيا و هذا مفقود في الدراسات السابقة.

فالمقالة هذه باتّباع منهج النقد المتكامل، تعرض خطبة الغدير موجزا و تعرّفها ثم تقدّم منهج تحليل الخطاب وأخيراً تلقي الضوء على ميزات أدبية لخطبة الغدير و مدى أثرها في المتلّقي من خلال تحليل الخطبة على منهج تحليل الخطاب الأدبي في محاور أربعة وهي الألفاظ و الصوت و

Archive of SID

www.SID.ir

الأسلوب و المضمون؛ ففي دراسة الألفاظ تقدّم معاني الألفاظ مع إشارات إلى بعض دلالاتها و أسباب استعمالها، ثمّ في دراسة صوتها يركّز على الصوائت و الصوامت من جهة الطول و القصر و الشدّة و الليونة و على المقاطع من جهة ارتفاعها و انخفاضها، إضافة إلى النبرات الصوتية الدلالية و كلّ ما يسبّب روعة الموسيقى الداخلية من السجع و التكرار و غير هذا. و في دراسة أسلوبية يعالج أسلوب النص و مضمونه. فقد اختير هذا الطريق ليحلّل كلّ جوانب النص لسانيا و أسلوبيا كي يحسن تبيين الجماليات الأدبية للنص.

و حريّ بالقول أنّ خطبة الغدير خطبة مفصلّة لاتستوعب المقالة تحليل كلّها أدبيا، فتمّ اختيار القسم الأول من الخطبة؛ إذ هو مقدّمة الخطبة و النّبي بهذه المقدّمة التوحيدية يمّهد الأرضية لبيان صلب الموضوع و هو نصب الولاية لأمير المؤمنين الإمام علي(ع).

هذه الخطبة آخر خطبة ألقاها النبي في حياته الشريفة عند الرجوع من حجة الوداع، و هي أكثر خطب النبي طولاً، لأنّه يريد أن يكمل دينه و يوصي آخر وصاياه لأمّته.

يمكن أن تلخّص الخطبة في عشرة محاور حسب الموضوع و هي:

۱. الحمد و الثناء.

۲. أمر إلهي في موضوع هام (إبلاغ ولاية أمير المؤمنين).

۳. الإعلان الرسمي بإمامة الأئمّة الإثنى عشر: و ولايتهم.

۴. رفع رسول الله يدي أمير مؤمنان و بيان آية الإكمال.

۵. التأكيد على عناية الأمّة بمسألة الإمامة.

۶. الإشارة إلى نوايا المنافقين.

۷. ذكر أولياء أهل البيت و أعدائهم.

۸. الإمام المهدي عجّل ا... تعالى فرجه الشريف.

۹. التمهيد لأمر البيعة و الحلال و الحرام و الواجبات و المحرّمات.

۱۰. البيعة الرسمية.

هذه هي المواضيع العامّة المطروحة في الخطبة الّتي قد بيّنها النبي (ص) في أوضح صورة.

الخطاب مصطلح فرنسي* وجد طريقه في العلوم الإنسانيّة بصفته موضوعا علميا نقديا منذ القرن العشرين (شرسار، ۲۰۰۶ :۱۱) و أوّل من استعمله هو زليگ هريس في كتابه تحليل

1. Discourse

Archive of SID

www.SID.ir

الخطاب (بهرامپور، ۱۳۷۹ :۲۲) و له تعاريف عديدة (راجع: الحميري، ۲۰۰۹ :۹/ شرشار، ۲۰۰۶: ۱۱/ ميرزائي، ۱۳۸۴ :۳/ الشهري، ۲۰۰۴ :۳۶و ۳۷) يستنتج من كلّ هذه التعاريف، أنّ الخطاب نظام لغوي مرتبط أجزاؤه يحدث في الاجتماع و متأثّر منه لينشئ العلاقة بين الباثّ و المتلقّي، فيبثّ المتكلّم استنتاجاته الفكرية بالوحدات اللّغويّة إلى المخاطب.

و له عناصر تشترک في بلورة عملية التواصل في الخطاب و هي**المرسل**، الطرف الأوّل للخطاب و عليه أن يختار من الأدوات اللغوية و الآليات الخطابية ما يناسب منزلته و موقعه الاجتماعي أو الوظيفيّ أو غيرهم، ثمّ **المرسل إليه** و هو الطرف الثاني للخطاب و إليه تتجه لغة الخطاب و هو الذي يمارس تفكيک الخطاب و يؤوله لمعرفة مقاصد المرسل و أهداف الخطاب المرجوّة و أخيرا **العناصر المشتركة**، مثل العلاقة بين طرفي الخطاب، و المعرفة المشتركة و الظروف الاجتماعية العامّة، بما تثيره من الافتراضات المسبقة و القيود التي تؤثّر على عملية التواصل. فيطلق على هذا الأخير اسم **السياق**؛ فيمكن القول إنّ مجموعة الظروف التي تحفّ حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام تسمى في بعض الأحيان بالسياق* (الشهري، ۲۰۰۴: ۴۰).

فحسب الظروف الّتي يتكوّن فيه الخطاب و موضوع الخطاب، ظهرت أنواع مختلفة منه نحو الخطاب الديني و الخطاب الفلسفي و الاجتماعي و السياسي و الفنّي و النقدي و منها الخطاب الأدبي.

و أمّا الخطاب الأدبي، فهو نظام لغوي دلالي إشاري تشكّل مقوّماته الأصوات و الألفاظ و القواعد و الدّلالات المعنويّة و الوظيفيّة (ميرزائي، ۱۳۸۴: ۴). و عرّفه حنفي بأنّه خطاب نقدي يحلّل الآثار الأدبيّة و الفنّيّة، ليبيّن جمالياتها و أثرها في المتلقّي و إثارة أحاسسيه و الإبداع و الخلق من جانب الأديب و الفنّان، هو خطاب يربط بين ذات الأديب و الحقيقة الّتي يرسمها و يصوّرها (حنفي، ۱۹۹۸: ۲۳).

ثمّ تحليل الخطاب هو نقد الخطاب و دراسة نقاطه السّلبيّة و الإيجابية و القوّة و الضّعف (نفسه: ۱۳۱).

1. contex
2. Analys Discourse

Archive of SID

www.SID.ir

في تحليل الخطاب يجب أن يعتنى بحبكة النّص و نسيجه* و نسيج الظّروف†؛ فحبكة النّص تعني ما هو أثر الجملات قبله و بعده في التجلّي التصويري و الوظيفي و المعنوي. ثمّ حبكة الظّروف تعني ما هي الظّروف الّتي قد تكوّن فيها النّص من الثّقافية و الاجتماعية و... (بهرام پور، ۱۳۷۹: ۲۴).

أضحى البحث في الخطاب الأدبي و صلته بالنقد يستحوذ على اهتمامات دارسي اللغة و الأدب منذ بداية القرن العشرين، فمن مناهج تحليل الخطاب يمكن الإشارة إلى المنهج الكلاسيكي و أيضا المناهج الحديثة الّتي تنظر إلى النّص الأدبي لا كرجع انعكاسي لأدبية خارجة؛ ولكن كمجال يقدر وحده على ربط العلاقة مع المدلولات، و هناك اتّجاهان رئيسان في الخطاب الأدبي، هما الاتّجاه اللساني و الاتّجاه الأسلوبي.

قد حاول النقّاد العرب محاولات جديرة لتبيين مناهج تحليل الخطاب و بيان ما يجدر بالمعالجة و الدراسة و *ميرزايي* في مقالته «روش گفتمان كاوى شعر»، قد تجشّم جمع هذه المحاولات و أخيرا استنتج أن يعالج في تحليل الخطاب أربعة محاور هي : اللغة و الموسيقى و الصورة و التجربة الإنسانية (ميرزايي، ۱۳۸۴: ۷) ثمّ يقترح أن يضاف التناص أيضا إلى هذه المحاور الأربعة لأثره في فهم النصّ (نفسه:۱۲).

و بما أنّ القصد من تحليل الخطاب هو الكشف عن معاني النصّ العميقة و استجلاء دلالاته الظاهرة و لاسيّما الخفيّة، فلا بدّ من التّمسّك بكلّ ما يؤثّر على فهم النصّ من تحليل الألفاظ و الموسيقى و التّصوير و التجربة الإنسانية و التّناص.

ففي هذا الطريق يمكن أن يضاف إلى ما ذكر، بيان مواضع التّماسك و الانسجام في النصّ؛ لأنّه يوضح ترابط أجزاء النصّ و اتّساقها، و الخطاب كما سبقت الإشارة إليه هو نظام مرتبط أجزاؤه.

ما يلاحظ هو أنّ الاتّجاهات الحديثة لخطاب النقد الأدبي أصبحت تستخدم المنهج التكاملي الذي يستعير مجموعة من النظريات المتباينة من العلوم المختلفة؛ ولكنّ السمة البارزة لتلك الاتّجاهات تبدو لسانية و أسلوبية أكثر من غيرهما و بما أنّ كلّ هذه المناهج يلقي الضوء على جهة محدّدة من النّص، قد تمّ في تحليل خطبة الغدير، محاولة استخدام المنهج المتكامل للتعمّق الأكثر في

1. Contex .
2. Contex situation

Archive of SID

www.SID.ir

الخطبة و استجلاء زواياها الكامنة من كلّ الجهات؛ فاستعمل كلّ المناهج المذكورة من البحث اللساني و الأسلوبي و معالجة المحاور الأربعة، إضافة إلى العناصر السياقية التي تكوّنت فيها الخطبة.

فلتحليل خطاب خطبة الغدير في البداية قد عولج نسيج الظّروف، فدرست الظّروف الّتي تكوّنت فيها الخطبة من الإجتماعيّة و الطّبيعيّة و النّفسانيّة، ممّا يؤثر على النّص في خارجه.

و لتحليل النّص قد تمّ تحديد الوحدات، و قد ذكر في كلّ قسم منها، بعض الألفاظ و معانيها؛ و رغم العلم بأنّ البحث اللغوي و اللساني له مجال أوسع ممّا ذكر، لكنّه لضيق المجال قد اكتفي بذكر معاني الألفاظ و بعض الشّروح لتبيين معنى اللّفظ في النّص. ثمّ قدّمت دراسة صوتيّة عولجت بها الموسيقى. و المحاور المطروحة في دراسة الموسيقى هي صفات الحروف و دلالاتها، ظاهرة التكرار و السجع و الجناس، أشكال المقاطع، و النّبرات الدّلاليّة الّتي تحدّد حسب سياق النّص(البهنساوي، ١٩٥:٢٠٠٥). و أخيراً قد عرضت مباحث في معالجة شكليّة للنّص مزيجاً بتحليل مضمون النّص؛ إذ المعنى و المضمون هما عاملان أساسيان في اختيار الأساليب؛ و الغرض الأول في هذه الخطبة هو انتقال المضامين و المعاني ولا إظهار الحذاقة في استعمال أساليب مختلفة.

و رغم أنّ منهج تحليل الخطاب يمتاز بالنّظر كلّياً إلى النّص، و كلّ دراسة أنجزت في تحليل خطاب نصّ ما، قد اندمجت فيها كلّ المحاور المطروحة في السابق معاً، في هذه المقالة قد تمّ دراسة كلّ هذه المحاور مستقلّة لتكون أكثر نسقاً و ترتيباً و أكثر فائدة ممّا يلزم للمقالة، فيقدّم تحليل خطاب القسم الأول من خطبة الغدير في القسم التّالي حسب ما ذكر.

كما مرّ، في تحليل خطاب النّصوص، يجب أن ينظر إلى نسيجين: نسيج الظّروف و نسيج النصّ. فقبل تحليل نّص الخطبة، تقدّم نبذة موجزة عن الظّروف الّتي قد تكوّنت فيها خطبة الغدير من الطّبيعيّة و الإجتماعيّة و النّفسانيّة.

ألقيت خطبة الغدير بعد أداء مناسک الحجّ، حيث أمر النبي (ص) بالوقوف عند الغدير، و غدير الخم واقع في صحراء الجحفة، فهي قرية كبيرة و مسيل يجتحفها السيل (الحموي، ١٩٧٩، ج١: ١١). و الغدير موضع على بعد مأتي كيلومتر من مكّة و ثلاثمئة كيلومتر من المدينة، مفترق الطّرق إلى الشّرق و الغرب و الشّمال على ميل دون الجحفة. فهو وادٍ تحاصره التلال و الجبال الصّغيرة، تصبّ فيه عين لا يفارقها ماء المطر و ينبت فيها المَرخ و الثَّمام و الأَراک و العُشر. (نفسه، ج٢: ٣٨٩). فالمكان مناسب لاجتماع عظيم؛ إذ الوادي وسيع و محصور بالتلال كأنّه قاعة يستوعب مئة و عشرين ألفاً من الحجّاج، و توفُّر المياه و الأشجار، سهل الوقوف ثلاثة أيام.

Archive of SID

www.SID.ir

والنبي (ص)«أمر بشجرتين و كشح تحت الشجرتين لبناء المنبر» (البلاذري، ۱۹۷۴: ۱۱). فبني المنبر حيث يطلّ على الجميع و كلّ الحضور قد رأوا النّبي (ص) و سمعوا صوته (المجلسي، د. ت، ج۱: ۳۴). فصعد النبي (ص) المنبر فورا بعد الصلاة جماعة و ألقى خطبته. فواضح أنّه إضافة إلى جودة اختيار المكان، قد استحسن اختيار الزّمان. بعد مناسک الحجّ و رفع القلق لأدائها، و فوراً بعد الصلاة لأنّ هذه الجماعة لم تكن تجتمع إلا للصلاة فاغتنم النّبي (ص) هذه الفرصة لإلقاء خطبته الخالدة.

و أمّا اجتماع المسلمين في حجّة الوداع و عند إلقاء الخطبة، فمزيج من الّذين أسلموا حقاً و إخلاصاً و الّذين أسلموا بغية الحصول على الغنائم و الأموال أو بغية التقرّب من النّبي (ص) والحصول على مناصب اجتماعيّة أو أسلموا خوفاً من الموت و حفظاً لأنفسهم و أموالهم و أو أسلموا تبعاً لرؤساء قبائلهم. فحضور المنافقين في مجتمع المسلمين واضح و طبيعي و شهدت الآيات القرآنية النّازلة في المنافقين في آخر سنوات حياة النّبي (ص) على هذا و كان خطرهم عظيماً، حيث حذّر الله النّبي منهم غير مرّة و نبّأه بمقاصدهم (الأنصاري، ۱۳۸۸ :۲۴-۲۱) و الجدير بالإشارة هو أنّ جماعة من المشركين قد راحو من مكّة إلى الغدير ليطلعوا على ما سيحدث (مجلسى، د. ت، ج۲۱ :۳۸۵و ۳۹۳و ۳۹۶ و ج ۳۷: ۱۱۱و ۱۵۸). فالنّبي (ص) في هذه الجماعة يؤمر بأن يخطب و يبلّغ ما أنزل إليه.

و المسلمون، قد تركوا ديارهم ليصاحبوا نبيّهم في هذا الحجّ، ليتعلّموا مناسک الحجّ و يسألوا النّبيّ (ص) عن سائر مسائلهم؛ لكن آخر يوم من أيّام الحجّ عند الوقوف في منى، قد أخبرهم النّبي (ص) بأنّه يمضي آخر أيّام حياته بينهم و هذا الإخبار كان بعد نزول سورة النصر (نفسه، ج ۹: ۱۵۰). إضافة إلى أنّه في خطبه في العرفات و منى و مسجد الخيف(نفسه، ج۲: ۱۴۱) دائماً كان يتحدّث عن الولاية والخلافة بعده، و عمّا سيحدث بعده، و يذكّر النّاس أن لا يحاربوا الحقّ و لا ينقلبوا على أعقابهم (الخراساني، ۱۳۷۴، ج ۱: ۱۵۹/ صفوت، د. ت، ج۱: ۵۹). هذه الكلمات و الأعمال كلّها قد دلّت المسلمين على أنّهم سيحرمون نعمة حضور النّبي (ص) بينهم، فتأثّروا بهذه الأخبار في نهاية مناسكهم. و أسئلة كثيرة قد هاجمت الأذهان و الأفكار حتّى أمر النّبي (ص) بالذّهاب نحو الغدير. فمشوا مسرعين إلى اليه ليجدوا إجابات عن أسئلتهم و يروا ماذا يؤدّي النّبيّ (ص) في آخر أيّام حياته. فحضروا الغدير حزنين قلقين متحيّرين منتظرين لكلامه (ص).

Archive of SID

www.SID.ir

۲. عرض الموضوع

۲-۱. الفقرة الأولى

اَلْحَمْدُللّه الّذى عَلا في تَوَحُّده، وَدَنا فى تَفَرُّده، وَجَلَّ في سُلْطانه، وَعَظُمَ في أرْكانه، وَ أحاطَ بكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَ هُوَ في مَكانه، وَ قَهَرَ جَميعَ الْخَلْق بقُدْرَته وَ بُرْهانه. حَميداً لَمْ يَزَلْ، مَحْموداً لايَزالُ، وَ مَجيداً لايَزولُ، وَمُبْدئاً وَمُعيداً وَ كُلُّ أمْرٍ إلَيْه يَعُودُ[1].

۲-۱-۱. الألفاظ

- علا: علا فلان : ترفّع و قال الأزهري العلي هو الّذي ليس فوقه شيء و يقال هو الّذي علا الخلق و قهرهم بقدرته (ابن منظور، ۱۳۰۰: ماده علو).
- توحّد: انفرد الناس لا يجالس الناس و لا يخالطهم (نفسه: ماده وحد).
- تفرّد: انفرد به (نفسه: ماده فرد).

و يجدر بالذكر أنّ الفرد يفيد الانفراد من القرن و الحدة تفيد الانفراد في الذات. و يقال تفرّد بالفضل و النبل؛ ولكن توحّد بمعنى تخلّى (العسكري، د. ت :۱۴۰-۱۴۱).

۲-۱-۲. دراسة صوتية

في الفقرة الأولى من النّص يوجد إيقاع كنظام موسيقائي في الجمل و الموسيقى الموجودة. فالجمل الخمسة الأولى منتهية بالهاء المكسورة و فيها وإن كان قليلا، شيء من الامتداد و إن تتلفّظ مع إشباع الكسرة فيه المدّ؛ كأنّها تجذب السّامع و تجعله منتظراً لاستماع الجملة التّالية. لكن جملة «أحاط بكلّ شيءٍ علما و هو في مكانه» تنتهي بمصوت الألف لأنّ المعنى يوحي الإحاطة، و رنين الجملة يدلّ على هذا المعنى؛ لكن أضيفت إلى الجملة جملة حاليّة أخرى على نسق الجمل السابقة و اللاحقة كي لا يتخلل الإيقاع الموجود في كليّة النّص.

ثمّ الجمل الثلاثة التّالية منتهية باللام، الأولى ساكنة و الباقي مضمومة؛ و عند الوقف كلّها ساكنة، كأنّها تريد أن تنقل معنى السكون و عدم التّحرك، و معنى الجملة في عمقها يؤيّد هذا؛ إذ الله تبارك و تعالى هو الّذي لم يزل و لا يزال حميداً و محموداً و مجيداً و هذه الصّفات ما زالت فيه و لا تتبدّل و لا تتغيّر و لا تزول. و إذا كانت مضمومة ففيه نوع من المواصلة و الاستمرار بسبب المدّ القصير الموجود في الأصوات و معاني الأفعال مؤيدّة لهذا المعنى. فمجد ا... سبحانه و تعالى و كونه حميداً و محموداً متواصلة من الأزل إلى الأبد. و الجميل هو أنّه ذكر ثلاث صفات

Archive of SID

www.SID.ir

الله تبارک و تعالى مع ثلاثة أفعال «لم يزل، لا يزال، لا يزول» كلّها بمعنى واحد لكن بألفاظ مختلفة مع حفظ النّظام الصّوتي للنّص.

و في النهاية، الجملة الأخيرة فيها حركة و عودة كلّ أمر إلى ا... سبحانه؛ فرصف الفتحة و الكسرة و الضّمة متكرراً في الجملة يثبت معنى الحركة و هي الإبداع و العودة أي إنّ الله سبحانه و تعالى دائماً يبدئ و يعيد و هو المرجع لكلّ أمر.

و المقاطع بسبب كثرة الصوائت، مطولة و في الغالب مفتوحة و هذا ما يحرّض المخاطب على أن يصغي لمواصلة الخطبة باشتياق.

و يبدو أنّ الكلمات المنبورة هي التي تبدأ بها الجمل، إضافة إلى «كلّ شيء» و «جميع» و «إليه» حسب ما يظهر من سياق النّص.

ممّا سبق في الفقرة الأولى، يستنتج أنّ معنى الجملة هو أنّ كلّ الشّكر و الثّناء لله الّذي قد ترفّع و تعظّم في تفرّده و وحدانيته.

۲-۱-۲. دراسة أسلوبية

الجملة الاسمية تؤكد المعنى و تدلّ على الثبوت و المبتدأ معرفة بأل الجنس كي يخص كلّ الثّناء و الحمد لله تبارک و تعالى ثمّ يصفه سبحانه بواسطة موصول "الّذي" كأنّه يريد أن يبيّن سبب هذا النّوع من التّحميد فيصفه في التّوحّد. فإذا التّوحّد بمعنى التّفرّد و الانفراد، والعلوّ بمعنى الترفّع و التعظّم، فكلّ هذا يؤكّد و يوحي التوحّد لله عزّ و جلّ و الّذي لا مثيل له و لا نظير فهو منفرد متوحّد و قد تعّظم في شأنه هذا.

ثمّ عندما يتحدّث عن إحاطته سبحانه و تعالى، يأتي بجملة حالية و يبيّن أنّ إحاطته لا يحتاج إلى حضوره في كلّ مكان، كي يؤدّي إلى القول بالجسمانية لله تعالى. فهذه الجملة الحالية تؤكّد أنّه جلّ و علا رغم كونه في مكانه محيط علمه بكلّ شيء.

وممّا يلفت النظر في هذه الفقرة هو أنّ الأفعال المستعملة في الوصف كلّها دالّة على نوع من الاستعلا: «علا، جلّ، عظم، أحاط، قهر» و هذا تناسب بين الفعل و المعمول، فالجلالة للسّلطان و العظمة للأركان و الإحاطة للعلوم و القهر للقدرة والبرهان. إضافة إلى أنّ هذه الأفعال كلّها ماضية لتدلّ على الثّبوت و الدّوام. ثمّ يواصل الوصف لكن يتغير أسلوب الجمل فيقدّم المعمول لتأكيد المعنى في ذهن المخاطب و يستعمل الأفعال الدّالّة على الاستمرار و التّواصل: «لم يزل، لا يزال ولا يزول». و في الجملة الأخيرة لا يوجد وصف و قد عطفت هذه الجملة على فعل الجملة

Archive of SID

www.SID.ir

السّابقة لتكون ما يبقى في الذّهن هو وصف المبدئ و المعيد؛ إضافة إلى أنّ التقابل الجمالي في المبدئ و المعيد و ما يسبّب التماسک له أثره البالغ في ترسيخ المعنى عند المتلقّي: فالمبدئ هو الذي ينشئ لا عن مثال سابق، و المعيد هو الذي يعيد خلقه. فهذا التضاد يساعد المخاطب على أن يدرک معنى النص و يرسّخه في نفسه.

۲-۲. الفقرة الثانية

بارِئُ الْمَسْمُوكات، وَداحِي الْمَدْحُوّات، وَجَبّارُالأَرَضينَ وَالسّماوات. قُدُّوسٌ سُبُّوحٌ. رَبُّ الْمَلائكَة وَالرُّوحِ. مُتَفَضِّلٌ عَلى جَميعِ مَنْ بَرَأَهُ، مُتَطَوِّلٌ عَلى جَميعِ مَنْ أَنْشَأَهُ، يَلْحَظُ كُلَّ عَيْنٍ وَالْعُيُونُ لاتَراهُ.

۲-۱-۳.الألفاظ:

- بارئ: الّذي خلق الخلق لا عن مثال (ابن منظور، ۱۳۰۰: ذيل مادة برأ).
- المسموكات: سمک السماء: رفعه فارتفع، و السّماء المسموكة: السّماء المرفوعة و المسموكات و المدحوّات: السّموات السّبع و الأرضون (المصدر نفسه، مادة سمک).
-المدحوّات: الدّحو: البسط، داحي المدحوّات: باسط الأرضين و موسّعها (نفسه: ذيل مادة دحو).
- متفضّل:التفضل:التخصص بالنفع الذي يوليه القادر عليه (العسكري، د. ت:۱۹۴).
- برأ:تمييز الصورة(السابق) و الخلق لا عن مثال سابق(نفسه، ج۱: ۳۱).
- متطوّل: الطّول: الفضل و القدرة و السّعة و العلوّ. يقال تطوّل عليه إذا امتنّ عليه و التطوّل عند العرب محمود يوضع موضع المحاسن (ابن منظور، مادة طول).
- أنشأ: أنشأه الله: خلقه و أنشأ الله الخلق: ابتدأ خلقهم (نفسه: مادة نشأ).

و الفرق بين التفضل و التطول هو أنّ الطول، مايستطيل على من يقصده و يقال تطوّل إذا سأله ذلک؛ و أمّا الفضل لا يكون واجباً و إنّما فضل يتفضّل به من غير سبب يوجبه. ثمّ البرء و الإنشاء: إنّ الإنشاء هو الإحداث حالاً بعد الحال من غير احتذاء الأمثال، و البرء هو تمييز الصورة دون مثال سابق (العسكري، د. ت: ۱۳۴و ۱۳۸و۱۹۴). ففضل ا.. . سبحانه جار على خلقه بسؤالهم الفضل أو من غير سبب يوجب هذا الفضل ويشمل الكلّ ممّا خلق حالاً بعد الحال و ما خلقه و ميّز صوره. فالكلّ يتمتّعون بفضل ا.. . و طوله.

Archive of SID

www.SID.ir

۲-۲-۲. دراسة صوتية

الموسيقى الداخلية في الفقرة الثانية كأنّ فيها شيئا من الثقل، و الشدّة الموجودة في كل قطعة و عبارة تساعد طنين الإيقاع الموجود في النّص على أن يوحي إلى السامع كلّ ما هو من العظمة في الكلام. ففي العبارات الأولى قد عبّر النّبي (ص) عن خلق الكون بمقاطع شديدة، بما فيها الشدّة: داحي المدحوات، جبّار الأرضين و السّموات، سبّوح قدّوس ربّ الملائكة و الرّوح، متفضّل...، متطوّل...، و كما يظهر، النبرات أيضا في هذه المقاطع شديدة؛ و الجميل هو كلمة «أنشأ» في الجملة الأخيرة؛ إذ فيها ليونة بسبب حروفها المستعملة فيخرج النبيّ (ص) بها من تلك الشدّة و الجلال ليدخل في الجملة الأخيرة بكلمات لطيفة لأنّه يتكلّم عن العين و النّظر و أنّه تعالى يلحظ كلّ عين ممّا لا مناسبة بين هذا المعنى و الموسيقى الثقيلة فاختار الكلمات المناسبة مع الوزن و الإيقاع الملائم للمعنى.

إضافة إلى التّوازن الموجود في النّص الّذى يتغيّر بتغير المعنى ليلائمه، هناک توازن في «المسموكات و المدحوّات و السّموات» ثمّ في «سبّوح» و «قدّوس» وحدة الوزن ملفت للنّظر، ثمّ «متفضّلٌ»، «متطوّلٌ» و «برأه» و «أنشأه».

۲-۲-۳.دراسة أسلوبية

في الفقرة الثانية، اسمية الجمل دالّة على التّأكيد و توحي الثّبوت. فالله سبحانه و تعالى هو الّذي خلق السّموات و الأرض و ابتدأ خلقها و هو القاهر في ملكه و إله كلّ شيء من السّماء و الأرض و الملک و الرّوح و هو المتزّه؛ رغم كلّ هذا الملک و الجلال و التزّه، فضله و تطولّه جار على كلّ ما خلق.

تعريف المسند يدلّ على التّأكيد و الحصر، و تنكيره دالّة على التّعظيم و التّبجيل و التفخيم (الهاشمي، ۱۳۸۵ :۱۲۶): «قدّوس سبّوح»، أو يدلّ على الشّمول و العموميّة: «متفضّلٌ على جميع برأه، متطوّلٌ على جميع من أنشأه» و تركيب التعريف و التنكير و التأرجح بينهما ممّا يؤتي النّص صورة جماليّة.

و يبدو أنّ معنى التفضّل و التطوّل لا يختلف كثيراً و هكذا برأه و أنشأه. فبيان الصفتين في تعبيرين مختلفين نوع من التكرار لتأكيد المعنى في نفس المخاطب، إضافة إلى دور هذا التكرار المعنوي في تماسک النص مع الانتباه إلى الفروق الدقيقة بين كلّ زوج منها.

Archive of SID

www.SID.ir

و ممّا جدير بالذّكر هو تكرار «على جميع من» لترسيخ المعنى في ذهن المتلقّي كي لا يشكّ أبداً أنّ فضل ا.. . عزّ و جلّ و إنعامه جاريان على جميع مخلوقاته.

ثمّ ممّا لا يغمض دوره في تماسک الفقرة، هو الفصل و الوصل حيث يوجد الوصل بواو العطف في العبارات الثلاثة الأولى، ثمّ الفصل حتّى نهاية الفقرة لتغيير الأسلوب و عدم استعمال واو العطف في هذه التّعابير يبين كمال الاتصال في هذه الجمل ممّا يؤدّي إلى ذروة التماسک و التّلاؤم في النّص.

۲-۳. الفقرة الثالثة

كَريمٌ حَليمٌ، ذُوأَناة، قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ وَ مَنَّ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتِهِ؛ لا يَعْجَلُ بِانْتِقامِهِ، وَلايُبادِرُ إِلَيْهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا مِنْ عَذابِهِ.

۲-۳-۱. الألفاظ

- حليم: من الحلم، الأناة و التّثبّت في الأمور و ذلک في صفات الله عزّ و جلّ معناه الصّبر، و قيل معناه الّذي لا يستخفّه عصيان العصاة و لا يستفزّه الغضب عليهم و لكن جعل لكل شيء قدراً فهو منته إليه (ابن منظور، ۱۳۰۰: مادة حلم).

- منّ: منّ عليه: أحسن و أنعم و في أسماء الله تعالى، المنّان الّذي ينعم غير فاخر بالإنعام و معناه: المعطي ابتداءً و له المنّة على عباده و لا منّة لأحد منهم عليه. و قال ابن الأثير: هو المنعم المعطي، بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه و لا يطلب الجزاء عليه (نفسه: مادة من).

۲-۳-۲. دراسة صوتية

الفقرة الثالثة خلافاً للأولى و الثانية تبدأ بخفّة و ليونة، فالحروف المستعملة أكثرها حروف الرّخوة و المهموسة الّتي أداؤها بحاجة إلى الوقت (البريسم، ۲۰۰۰: ۴۹) حيث جرت النّغمة الخفيّة في الكلام و ظهر نوع من التّأنّي للتّعبير عن المقصود ممّا يناسب المعنى. فالرّاء و اللّام و الميم و النّون و التّاء كلّها بصفتها الرّخوة و الهمس تؤكّد المعنى الموجود في عمق الكلمات البدائيّة، و هو التّأنّي و التّأمّل، إضافة إلى قصر المقاطع بسبب الصوائت القصيرة المستعملة فيها. ثمّ تتمّ عمليّة توسيع الرّحمة و الامتنان بالنّعم في جوّ هادئ متواصل من الأنغام و الأصوات كأنّه يوحي إلى السّامع أنّ هذه العمليّة، عمليّة دائمة متواصلة. و الهاء المكسورة في نهاية العبارات يبرز هذه المواصلة. ثمّ اللّفظ يساعد تثبيت هذا المعنى في الجملتين الأخيرتين:«لا يعجل إليهم... و لا يبادر...».

Archive of SID

www.SID.ir

۲-۳-۳.دراسة أسلوبية

و أمّا الفقرة الثالثة فتذكر أنّ ا... الّذي هو جبّار الأرضين و السّموات و يتفضّل و يتطوّل على جميع من برأه و أنشأه، كريم حليم، و **الجميل** هو أنّه بعد ذكر الحليم يؤكّد هذه الصفة لله تعالى بصفة أخرى تبيّن قدر الحلم و هي «ذو أناة»، لأنّ الأناة هي البطء في الحركة و الإمهال، و الحلم هو الإمهال في تأخير عقاب المستحقّ و معاملته الجزاء على السيئة (العسكري، د. ت: ۲۰۳-۲۰۰)؛ فالأناة أعمّ من الحلم. ثمّ يقول رحمته و نعمته حفّت مخلوقاته و من نعمه و منّه عليهم، أنّه لا يسرع في عقابهم الّذي استحقّوه بما فعلوا، فتنكير المسند يدلّ على الشّمول و العموميّة أي إنّه تعالى ينعم على الجميع. و لفظ «قد» يشير إلى أنّه تعالى منذ زمن بعيد قبل هذا «وسعت رحمته و منّ عليهم...» لكنّه يستمرّ في عفوه و تأجيل عقوبته لأنّه تعالى حليم ذو أناة.

ثمّ **ما يسترعي الانتباه** في هذه الفقرة، هو قضية الفصل و الوصل، فيوجد الفصل بين الجمل الأربعة الأولى لكمال الاتصال بينها، ثمّ الجملة الخامسة قد عطفت على الرابعة لاشتراكهما في الحكم و تقارب المعنى، ثمّ الجملتان الأخيرتان بينهما الوصل، قد فصلتا عن هذه الجمل لكمال الانقطاع. فهكذا واو العطف يبرز دوره في تماسك الجملة تماسكاً نحوياً.

۲-۴. الفقرة الرابعة

قَدْ فَهِمَ السَّرائِرَ وَ عَلِمَ الضَّمائِرَ، وَلَمْ تَخْفَ عَلَيْهِ اَلْمَكْنوناتُ، ولا اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ الْخَفيّاتُ. لَهُ الْإِحاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، والغَلَبَةُ على كُلِّ شَيءٍ، والقُوَّةُ في كُلِّ شَيءٍ، والقُدْرَةُ عَلى كُلِّ شَيءٍ، وَلَيْسَ مِثْلُهُ شَيءٌ، وَ هُوَ مُنْشِئُ الشَّيءِ حينَ لاشَيءَ. دائمٌ حَيٌّ، وَقائمٌ بِالْقِسْطِ. لاإِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزيزُالْحَكيمُ.

۲-۴-۱. الألفاظ

- السّرائر: السّر من الأسرار الّتي تكتم و السّر ما أخفيت و السّريرة كالسّر و الجمع سرائر(ابن منظور، ۱۳۰۰: مادة سر).

- الضّمائر: الضّمير: السّر و داخل الخاطر و الجمع الضّمائر و اللّيث يقول: الشيء تضمره في القلب (نفسه، مادة ضمر).

- الحكيم: أحكم الأمر: أتقنه. الحكيم: المتقن للأمور (نفسه: مادة حكم).

Archive of SID

www.SID.ir

۲-۴-۲.دراسة صوتية

أوّل ما يلفت انتباه السّامع في الفقرة الرابعة، السّجع الموجود في «السّرائر» و «الضّمائر» ثمّ «المكنونات» و «الخفيّات» و الجميل أنّ هذه الكلمات المسجّعة، مترادفة أيضاً و يوحي معنى قريبا بعضها من البعض، ثمّ النّغمة الواحدة في «الإحاطة» و «الغلبة» و «القوّة» و «القدرة» الّتي لها أثرها في موسيقى النّص. ثمّ تكرار «شيء» في سبع جمل من هذه الفقرة يثير انتباه السّامع و يحفزه نحو التّفكير في ما سمع، إضافة إلى أنّه أداة لتفهم المعنى عند المتلقي. ففي الجمل الأربعة الأولى لا يشكّ المخاطب أنّه تعالى هو العليم و المحيط بكلّ شيء، و في الأربعة التالية يفهم أنّه هو القاهر و الغالب على كلّ شيء و يدرک من باقي الجمل أنّه عزّ و جلّ هو الواحد الّذي خلق ابتداءً عن العدم حين لم يخلق شيء، و الجدير بالذكر هو وجود صفات أخرى تؤدّي إلى هذا المعنى لكنّه استعمل منشئ لتناسب صوت النص و هو كثرة حضور مصوت الشين في الفقرة.

و أخيراً الرّنين الموجود في الجملتين النهائيتين يجدر بالانتباه، حيث نرى الخطيب (ص) في غاية البيان، يأتي بأوصاف متتالية في جمل متتالية فجملة "دائم حي" كأنّه نبرة خطابية يحدّد تلک الحدة و يهيّئ الأرضية للتّنقل إلى موضوع آخر في وصف الله سبحانه، فتكرار «شيء» مع التّفشي الموجود في الشّين يوجب ضوضاء في ما يسمعه المخاطب ثمّ يحكم هدوءاً في صوت الجملة التالية: «دائم حي و قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم» فإضافة إلى السّجع في «دائم» و «قائم»، جهورة الأصوات يضفي جمالية النّص.

فاستعمال الفتحة الطويلة، و العين و الحاء و القاف و الطاء المجهورة الّتي فيها الإيضاح و العلوّ(بريسم، ۲۰۰۰: ۵۱) متلائم جدّا و فضاء الخطبة؛ فالخطيب بأعلى صوته يريد أن يوضّح و يبيّن أنّه لا إله إلا هو العزيز الحكيم فاستعمل الحروف المجهورة لتوصّله إلى هدفه؛ إضافة إلى أنّ استمرار الجهر هو استمرار للوظيفة الداخليّة للتقاطع فكأنّه الجسر الّذي يربط طول المقاطع مع قمّة النّغمة (نفسه: ۵۰).

۲-۴-۳.دراسة أسلوبية

تبدأ الفقرة الرابعة ببيان أنّه تعالى يعلم ما تخفي الصّدور و مضمرات القلوب و الجملة التالية الّتي يعطف بواو العطف في موضع كمال الاتّصال، تؤكّد و تبيّن هذا المعنى: لا يخفي على الله شيء حتّى ما هو المكنون في الصّدور أو الأوهام و الأفكار ثمّ الخفيّات لا تسبّب أن يشتبه عليه أمر و يختلط و يلتبس و تشكل عليه الأمور. فالجمل الأربعة الأولى من هذه الفقرة، كأنّ كلّها

Archive of SID

www.SID.ir

تكرّر معنى واحداً و هو علم الله تعالى بالسرائر و الضمائر و المكنونات و الخفيات؛ و هذا التكرار المعنوي يؤدّي إلى التماسک اللغوي حيث يظهر أنّ الخطيب(ص) قد استعمل أربعة تعابير لمعنى واحد أو قريب.

و أمّا التعابير التالية، فالغلبة لايتسنى إلا بفضل العلم و القدرة دون القهر لا يكون إلا بفضل القدرة. و الغلبة من فعل الغالب و القدرة من فعل القادر، ثمّ القدرة على شيء تدلّ على القدرة على تصريف الشيء (نفسه، ۱۰۵). فواضح أنّ رصف هذه المفردات لم يكن مجرّد بيان ألفاظ فحسب، بل الغرض من كلّ هذه الألفاظ هو الداعي إلى اختيارها.

ثمّ بتقديم المسند و تعريف المسند إليه ينحصر الإحاطة و الغلبة و القوّة و القدرة على كلّ شيء لـــ.. . تعالى. ومرّة أخرى بواو العطف يبيّن المعاني السّابقة في مجال أوسع و هو أنّه تعالى لا نظير له فليس مثله شيء، و كأنّ الجملة التّالية بيان السبب لهذه الجملة إذ تقول فبما أنّه تعالى خالق الأشياء فليس مثله شيء. و ما يجدر بالذّكر هنا هو أنّه خلق الأشياء لا عن مثال و لا عن مخلوق سابق و الظرف مع متعلّقه «حين لا شيء» يؤكّد المعنى الموجود في لفظة «أنشأ» و هو الخلق من العدم حين لم يكن شيء.

فالأشياء بما لها فترة من العدم و الزّوال ليست دائمة بل الله هو الدّائم الحيّ و القائم بالقسط. ثمّ ينفى وجود أيّ إلهٍ غير الله العزيز الحكيم الّذي عزّ و أتقن الأمور. فواضح أنّ نهاية الفقرة يناسب المواضيع المطروحة في الفقرة مناسبة تامّة وسياقها يهدي إلى بيان هاتين الصفتين لله تعالى في نهاية الفقرة.

و إذا نظرنا إلى النّص لتنقيب التّماسک فيه، رأينا نوعاً من التّماسک الصّوتي في الفقرة كما سبقت الإشارة إليه في الدراسة الصوتيّة. و التّماسک اللّغوي التّام بسبب المترادفات مثل «السّرائر و الضّمائر» و «المكنونات و الخفيّات» و «الإحاطة و الغلبة» و «القوّة و القدرة» ثمّ واو العطف و مواضع الفصل و الوصل. فثلاث جمل في هذه الفقرة منفصلة عمّا قبلها لتباينها عنها أسلوبا و معنى. فالفصل هنا في موضع كمال الانقطاع.

۲-۵. الفقرة الخامسة

جَلَّ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَاللَّطيفُ الْخَبيرُ. لايَلْحَقُ أَحَدٌ وَصْفَهُ مِنْ مُعايَنَةٍ وَلايَجِدُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ مِنْ سِرٍّ وَ عَلانِيَةٍ، إِلاّ بِما دَلَّ عَزَّوَجَلَّ عَلى نَفْسِه.

Archive of SID

www.SID.ir

۲-۵-۱.الألفاظ:

- تدركه: الدّرک: اللحاق، أدركته ببصري: رأيته (ابن منظور، مادّة درک). و أصل الإدراک بلوغ الشيء و تمامه و الإدراک طريق من طرق العلم (العسكري، د. ت: ۹۰).

- اللّطيف: اللّطف:الرّفق و البرّ و التّكرمة و التّحفي (نفسه، ج ۹: ۳۱۶) قد يعبّر باللّطائف عمّا لا تدركه الحاسّة و يصحّ أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه و أن يكون بمعرفته لدقائق الأمور. . . (الراغب، د. ت:مادة لطف).

- يلحق: لحقته و لحقت به: أدركته (الراغب، د. ت:مادة لحق).

- معاينة: العين و المعاينة: النّظر و قد عاينه معاينة و رآه عياناً: لم يشكّ في رؤيته إيّاه (ابن منظور، ۱۳۰۰: مادة عين).

بناءً على ما ذكر في معاني اللّمفردات يبدو أنّ الجمل في هذه الفقرة مؤكّدة بعضها البعض؛ فالله سبحانه تعالى «جلّ عن أن تدركه الأبصار» بمعنى لا يلحقه الأبصار ثمّ «لا يلحق أحد وصفه من معاينة» اللّحق بمعنى الدّرک فالمعنى واحد في تعبيرين.

- دلّ: يقال دلّ فلان إذا هدى و قال ابن الإعرابي: دَلّ يَدِلّ إذا هدى و دَلّ يَدُلّ إذا منّ بعطائه (نفسه: مادّة دلل).

۲-۵-۲.دراسة صوتية

تبدأ الفقرة الخامسة بفونيم الجيم و هي من الفونميات المركبّة و المجهورة أي إضافةً إلى أنّ صوته جهوري و عامل الوضوح و علوّ الدّرجة من ناحية الطبيعة السّمعية، إنتاجه متشكّل من مرحلتي توقف الهواء خلف عضوي النّطق ثمّ إطلاقه ببطء (البريسم، ۲۰۰۵: ۱۶۱) فكلّ هذا يوجب نوعاً من العظمة في صوت الحرف الّذي يناسب معنى كلمة «جلّ» و إذا أضفنا الشّدة و تكرار اللّام، يبرز التّلائم الصّوتي في الكلمة و حسن انتقاء الخطيب (ص) مفرداته أكثر فأكثر.

ثمّ يواجه السّامع حرفي «عن» و «أن». فما يسمعه المخاطب قريب جداً. و أمّا الفرق بين العين و الهمزة، فكلا الحرفين من الحروف الحلقويّة إلّا أن مخرجهما في الحلق يختلف ثمّ العين من الحروف المجهورة و الهمزة من المهموسة (المصدر نفسه) فالفرق ظريف جدّاً فيضطرّ المخاطب إلى الانتباه ليدرک ما يلقى إليه. فيسمع تكرار حرف الرّاء سبع مرّات و هي من الحروف المكررة المجهورة (المصدر نفسه). و الجميل هو أنّ هذا الحرف قد تكرّر في كلمات متكرّرة إلا «الخبير»

Archive of SID

www.SID.ir

فليست متكررة: «تدركه، يدرک، الأبصار» ثمّ تكرار الضّمير «هو» تارة مع الواو الحالية و تارة مع واو العطف و أيضاً تكرار «أحد»، يوجب تثبيت المعنى في نفس المتلقّي.

ثمّ التّوازن في الجملتين التّاليتين و الرّنين الموجود في النّص، لهما أثرهما البارز في السّامع؛ فمقاطع كلا الفعلين مساوٍ في «لا يلحق» و «لا يجد» و لفظة «أحد» مكررة و المقاطع واحدة في الكلمتين الأخيرتين «معاينة» و «علانية» و وحدة الوزن في نهايتهما. و في الجملة الأخيرة يسمع المخاطب ما سمعه في بداية الفقرة مرّة أخرى و هو فعل «جلّ» و من اللافت للنظر هو أنّ كلّ مفردات هذه الجملة إلا الكلمة الأخيرة منتهية بالفتحة القصيرة أو الطويلة و هي من الصّوائت، و الصوائت أشدّ وضوحاً من الصّوامت و هذه الفتحة القصيرة و لاسيّما الطويلة (البريسم، ۲۰۰۰ :۴۹) أوضح و أعلى الصّوائت لئلا يشكّ أحد أنّه لا طريق إلى معرفة ا.. . و وجدان كيف هو من سرّ و علانية إلا هدايته و دلالته عزّ و جلّ.

۲-۵-۳.دراسة أسلوبية

من جهة الأسلوب ليس في الفقرة الخامسة ما يجدر بالذكر إلا تلک التّكرارات: «الأبصار» و «يدرک» في موضعين مختلفين و المترادفات: «لا يدركه و لا يلحقه»، و هذا من التكرار المعنوي؛ كلّها تسبّب التّماسک اللّغوى في النّص كما تغيير دور الضمير الغائب في «لا تدركه الأبصار و هو يدرک الأبصار» يؤدي إلى التماسک، فضمير الغائب في الجملة الأولى المفعول به و في الجملة الثّانية مبتدأ.

ثمّ الاستثناء في الجملة الأخيرة يوحي أنّه لا طريق إلى معرفة الله سبحانه و تعالى إلا بما هدى الله، فالمعرفة صنع الله فلا يستطيع الإنسان أن يبلغ إلى أقلّ درجاتها و هي الرّؤية و البصر، و بحاجة إلى دلالة الله عزّ و جلّ على نفسه.

۲-۶. الفقرة السادسة

و أشهَدَ أنَّهُ ا.. . الَّذي مَلأَ الدَّهرَ قُدسُهُ وَ الَّذي يَغشَى الأَبَدَ نُورُهُ وَ الَّذي يُنفِذُ أمرَهُ بِلا مُشاوَرَةِ مُشيرٍ وَ لا مَعَهُ شَريکٌ في تَقديرِهِ وَ لا يُعاوَنُ فِي تَدبيرِهِ.

۲-۶-۱. الألفاظ

- ملأ: ملأ الشيء: وضع فيه من الماء و غيره قدر ما يسع و امتلأ الشيء: أفعم و الملء: قدر ما يأخذ الإناء و نحوه إذا امتلأ (مصطفى و آخرون، ۱۴۲۶: مادّة ملء).

Archive of SID

www.SID.ir

– يغشى: الغشاء و الغطاء. وغطّه اللّيل: ألبسه ظلمته، غطت الشّجرة: طالت أغصانها و انبسطت على الأرض فانبسطت ما حولها، غطى الشيء: ستره و علاه (نفسه: مادّة غشي).

– نفذ: النفاذ: الجواز في الحكم، رجل نافذ في أمره: ماض في جميع أموره. إنفاذ: الحدّة و المضاء. و النّفوذ هو القطع و السّلوک، نفذ السهم الرّمية: خالط جوفها ثمّ خرج طرفه من الشّق الآخر (المصدر نفسه، مادّة نفذ).

۲–۶–۲.دراسة صوتية

أوّل ما يلفت النّظر في الفقرة السادسة هو حضور الشّين في كلّ الجمل إلا الأخيرة، و هي من الأصوات الاحتكاكية التي ينتج باحتكاک الهواء و المجرى الصوتي الضيق (البريسم، ۲۰۰۵ :۱۶۱)؛ و صفته هذه متبلورة في معنى الفقرة حيث إنّه تعالى لا يحتكّ بمشاور و لا شريک و لكنّ نوره قد احتكّ بالأبد وغشّاه. ثمّ نرى الجملتين الأوليين قد انتهتا بالهاء المضمومة ما قبل المضموم و الضمّة من الصّوائت الّتي لها دورها في الوضوح و الاستعلاء، ثمّ الجملة التّالية تنتهي بصوت «ير» إلا أنّه يضاف إليه في الجملتين التّاليتين الهاء المكسورة فأدّى إلى ليونة لم تكن في الجمل الأولى.

و أمّا المقاطع فأغلبها في هذه الفقرة مفتوحة، لتكون مناسبة لملء قدس الله تعالى الدهر و تغشية نوره الأبد.

۲–۶–۳.دراسة أسلوبية

ثمّ في الفقرة التالية، يعبّر النّبي (ص) في قالب الشّهادة عن الصفات الأخرى لله تعالى و يقدّم المفعول به على الفاعل ليبيّن قد أفعم الدّهر بقدسه و ستر و غطّى الأبد كلّه بنوره. ثمّ إنّه تبارک و تعالى أمره نافذ ماضٍ في كلّ الأمور، حيث معنى لفظة «نفذ» مبيّن المقصود. فأمره تعالى مثل نفوذ السهم نافذ حيث يدخل الجوف و يخرج طرفه من شق آخر. و في إنفاذه الأمور لا يستشير أحداً و لا يشاركه أحد، و لايعاونه و لايساعده أحد عندما يقدّر و يدبّر؛ و أمّا التدبير هو تقويم الأمر على ما يكون فيه صلاح عاقبته و التقدير هو تقويم الأمر على مقدار يقع معه الصلاح. ثمّ استعمل المجهول لعدم تعلّق الغرض بذكر الفاعل بل الغرض هو عدم استعانته من الغير في التدبير، أو أنّ الغير لا يمتلكون القدرة ليعاونوه سبحانه في تدبيره. فالله هو الواحد الّذي يدبّر و يقدّر و ينفذ.

Archive of SID

www.SID.ir

النبيّ (ص) يواصل خطابه هكذا في ارتفاع و خفض في المقاطع الصوتية و تنبّه لما يؤثر من الحروف و الأصوات على المتلقي و يتكلّم عن إنشاء الله سبحانه الخلق و عظمته و قدرته حيث خضع و تواضع و ذلّ كلّ شيء لعزّته و هيبته و قدرته و كلّ هذا بأسلوب غير مملّ و إشارات إلى الآيات القرآنية ليجد المخاطب أنّه لا يسمع إلا ما كان معروفا لديه في السابق؛ إضافة إلى إجراء التناسب بين بعض المفردات كالتواضع و العظمة و الذلّ و العزّة و الخضوع و الهيبة، حتّى يصل إلى هذه الفقرة:

۲-۷. الفقرة السابعة

لَمْ يَكُنْ لَهُ ضِدّ، وَلا مَعَهُ ندٌّ. أَحَدٌ صَمَدٌ. لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ. إلهٌ واحِدٌ، وَرَبٌّ ماجِدٌ. يَشاءُ فَيُمْضي؛ وَيُريدُ فَيَقْضي؛ وَيَعْلَمُ فَيُحْصي؛ وَيُميتُ وَيُحْيي، وَيُفْقِرُ وَيُغْني؛ وَيُضْحِكُ وَيُبْكي؛ وَيُدْني وَ يُقْصي، وَيَمْنَعُ وَ يُعْطي. لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ. وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدير.

۲-۷-۱. الألفاظ

- النّد: المثل و النّظير (ابن منظور، ۱۳۰۰: مادة ند).
- يمضي: مضى الأمر: نفذه و أمضى الأمر: أنفذه (نفسه، مادة مضى).
- يقضي: القضاء: الحكم و قضاء الشيء إحكامه و إمضاؤه، فكلّ ما أحكم عمله أو أتمّ أو ختم أو أدّى أداء أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضي (نفسه، مادة قضى).

۲-۷-۲. دراسة صوتية

في القسم الأوّل من الفقرة التاسعة تكرار حرف الدّال، له أثر بارز في موسيقى النّص؛ فالدّال من الحروف الانفجاريّة المجهورة (البريسم، ۲۰۰۵: ۱۴۳) حيث يؤدّي إلى الوضوح السّمعي في العبارات ممّا يستلزم إفهام معنى الوحدانية لـــ... تعالى كأهمّ عقيدة المسلمين و أوّل ما يدعو إليه النّبي (ص)، فالعقيدة بهذه الدرجة من الأهمية يجب أن تبيّن واضحاً حيث يسمعها المخاطب و يفهمها بوضوح. و تركيب هذا الحرف بحروف أخرى فيها ليونة مثل الياء و اللام، أو الحروف المجهورة مثل الحاء، يخرجه من شدّة الحروف الجهورية و يلائم بين الشدّة و الليونة فيضاعف جماليّة موسيقى النّص.

ثمّ في القسم الثّاني من الفقرة نرى وحدة الوزن بين فواصل النّص؛ فكلّ العبارات منتهية بصوت الكسرة الطّويلة، و غير العبارتين الأوليين، كلّها استعمل على وزن يُفعِل. ثمّ طول المقاطع

Archive of SID

www.SID.ir

في كثير من هذه العبارات واحد و لا يختلف بعضها من البعض. فكلّ هذا يرسم خارطة صوتيّة جميلة تشنّف الآذان عند ما يسمعها سامع.

۲-۷-۳. دراسة أسلوبية

تكرار «لم» في بداية الفقرة «لم يكن له ضدّ. . . لم يلد و لم يولد و لم يكن. . . » ثمّ تكرار المعنى الواحد في الجملتين التاليتين: «لم يكن له كفواً أحد» و «إله واحد» فكلتا الجملتين تدلان على الوحدانيّة لله تبارک و تعالى ممّا يجعل النص منسجماً انسجاماً لغوياً. ثمّ فاء الرّبط في «فيمضي، فيقضي» يوجب التماسک النحوي. ثمّ التّضاد الّذي جعلها في سائر المفردات: «ضدّ و ندّ»، «يميت و يحيي»، «يفقر و يغني»، «يضحک و يبكي»، «يدني و يقصي»، «يمنع و يعطي» يؤدّي إلى التماسک المعنوي. إضافة إلى الصلة المعنويّة و العلاقة العليّة بين بعض الأفعال مثل «المشيّة و الإمضاء» و «الإرادة و القضاء» و «العلم و الإحصاء»[۲]. و أمّا من جهة المعنى، فالإرادة لما يتراخى وقته و ما لا يتراخى، و المشية لما يتراخى وقته و القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام (العسكري، د. ت: ۱۲۴و۱۹۰). فالله سبحانه بعد مشيّته يمضيها و بعد إرادته يقضيها؛ و يمكن تغيير القضاء فلا يتراخى الوقت فاستعمل الإرادة، و أمّا ما أمضاه سبحانه فلا يمكن تغييره فاستعمل المشية لما يتراخى وقته.

و عند البحث عن التّناص في النّص، فالعبارة الأخيرة تدلّنا إلى الآية القرآنيّة:﴿قل اللّهمّ مالک الملک تؤتي الملک من تشاء و تنزع الملک ممّن تشاء و تعزّ من تشاء و تذلّ من تشاء بيدک الخير إنّک على كلّ شيء قدير﴾ (آل عمران/ ۲۶).

فالنّبي (ص) من بداية الخطبة كان يتكلّم عن الخالق البارئ القادر القاهر الغالب المحيط العليم الخبير القويّ العظيم العزيز المتفضّل المتطوّل المنعم الرّحيم، و عرّف ا. . . سبحانه و تعالى خلال العبارات الجميلة بهذه الصّفات ثمّ شهد له بالعظمة و العزّة و القوّة فهنا بعد كلّ هذا يرجع إلى الموضوع الأوّل المطروح في الخطبة و هو الوحدانيّة، فيطرح أنّه سبحانه و تعالى لا نظير له و لا ضدّ له؛ أحد صمد؛ لا يلده أحد و لا يلد هو أحداً؛ و لا كفو له كي يعرف بنظيره أو ضدّه أو كفوه أو والده أو ولده. فهو الله سبحانه و تعالى إله واحد لا كالآلهة الكثيرة المعهودة عند العرب. فهو إله واحد يربّي العباد بكرمه و حسن صنيعه فهو ربّ ماجد. فإنّه هو الإله الواحد الّذي له القدرة على المشيّة و الإمضاء و الإرادة و القضاء و العلم و الإحصاء و الإماتة و الإحياء و الفقر و الغنى و الضحک و البكاء و القرب و البعد و المنع و العطاء. فهو ملک الأملاک و له الملک و له

Archive of SID

www.SID.ir

الحمد على كلّ ما ذكر. كلّ الخير عنده تبارک و تعالى و بيده سبحانه يجري على العباد. فيستنتج من كلّ ما تقدّم أنّه سبحانه الواحد الّذي على كلّ شيء قدير.

۲-۸. الفقرة الثامنة

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ، وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ. لا إله إلاّ هُوَ الْعَزيزُ الْغَفّارُ. مُسْتَجيبُ الدُّعاءِ، وَمُجْزِلُ الْعَطاءِ، مُحْصِي الأَنْفاسِ، وَ رَبُّ الْجِنَّة وَالنّاسِ. الَّذي لايُشْكِلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَ لايَضجرُهُ صُراخُ الْمُسْتَصْرِخينَ، وَلايُبْرِمُهُ إِلْحاحُ الْمُلِحّينَ، اَلْعاصِمُ لِلصّالِحينَ، وَالْمُوَفِّقُ لِلْمُفْلِحينَ، وَ مَوْلَى الْمُؤْمِنينَ، وَرَبُّ الْعالَمينَ. الَّذي اسْتَحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ خَلَقَ أَنْ يَشْكُرَهُ وَيَحْمَدَهُ عَلى كُلِّ حالٍ.

۲-۸-۱. الألفاظ

- يولج: الولوج: الدّخول، أولجه: أدخله، يولج اللّيل في النّهار و يولج النّهار في اللّيل: يزيد من هذا في ذلک و من ذلک في هذا (ابن منظور، ۱۳۰۰: مادة ولج).
- مجزل العطاء: أجزل له العطاء: أي أكثرت و أعظمت و الجزل الحطب ثمّ كثر استعماله حتّى صار كلّ ما كثر جزلاً (نفسه: مادة جزل).
- ضجر: الضّجر: القلق من الغمّ (نفسه: مادة ضجر).
- يبرمه: أبرمه فلان: أي أملّه و أضجره (نفسه: مادة برم).
- إلحاح: ألحّ في الشيء: كثر سؤاله و ألحّ على الشيء: أقبل عليه و لا عنه (نفسه).
- العاصم: العصمة في كلام العرب: المنع و الحفظ، و عصمه: منعه و وقاه (نفسه: مادة عصم).
- الموفّق: وفّقه الله سبحانه تعالى: ألهمه و هو من التّوفيق (نفسه: مادة وفق).

۲-۸-۲. دراسة صوتية

كثرة حروف الياء و اللام و الواو في الفقرة العاشرة لافت للنّظر فكلّ هذه الحروف فيها ليونة و ليست فيها تلک الشّدة و الانفجار و الجهورة الّتي عهدها السّامع في الفقرة السّابقة. فطبيعي أن يتغيّر الموسيقى الداخلية للنّص لأنّ هذه الفقرة كجسر إلى خاتمة الموضوع فيجب أن يهبط من ذاک الارتفاع الشّديد الموجود كي يدرک السّامع أنّه يقترب من النّتيجة النهائيّة و خاتمة الموضوع.

و الكلمات المتجانسة مثل «الدعاء» و «العطاء»، و كلّ الصفات المنتهية بـــ «ين» مثل «الصالحين» و «المفلحين» و «العالمين» و.. . تترک أثرها في جمالية ما يسمعه السامع؛ ثمّ صوت

Archive of SID

www.SID.ir

الياء الممدود في نهاية هذه الصفات، له دوره في طول المقاطع و ما يؤدّي إلى إعجاب السامع؛ حيث إنّه يسمع صفات ربّه العليّ و يتلذّذ من بيانها في شيء من المدّ و الطول.

ممّا له دور في موسيقى النّص هو تكرار عبارة «يولج اللّيل في النّهار و يولج النّهار في اللّيل» معكوساً؛ ثمّ التّوازن في الفواصل و مقاطع النّص، يضفي إلى الجماليّة الموجودة في جميع الفقرات.

۲-۸-۳.دراسة أسلوبية

الفقرة العاشرة تبدأ باقتباس الآية القرآنيّة؛ إذ الجملة الأولى قد جاء في أربع آيات من القرآن الكريم: (لقمان/۲۹ و الفاطر/۱۳ و الحديد/۹ و الحج/۶۱) فتبدأ الفقرة بجملة فعليّة و فعلها مضارع لتجدّد استمرار ولوج اللّيل و النّهار.

ثمّ كأنّ النّبي (ص) يريد أن يحكم حبل العلاقة بين العباد و ربّهم لئلا يظنّوا بأنّ ربّهم و إلههم بتلك الصّفات و بهذه القدرة و المنعة و الهيبة و الجلال، يكون بعيد المنال؛ ففي البداية يصف غفران الله تعالى لعباده بصيغة التفضيل ليوحي الرجاء في قلوب الأمّة للإنابة؛ ثمّ يعدّ النّبي صفاته سبحانه الّتي يحسّ المخاطب بأنّه يستطيع أن يسأل و يدعو ربّه و يلحّ عليه و يستصرخه فكلّ هذه العبارات، تظهر في جمل اسميّة دالّة على الثّبوت؛ إضافة إلى أنّ كلّ الأوصاف أسماء الفاعل الدالّة على الاستمرار: «مستجيب الدعاء»، «مجزل العطاء»، «محصى الأنفاس»، «العاصم للصّالحين»، «الموفّق للمفلحين»، «مولى المؤمنين».

و الجمل الفعلية فعلها مضارع مرتبطة بموصول «الّذي»، و بما أنّ الضّمير العائد في كل صفة يجعل الموصول و الصلة مرتبطتين، يساعد على التّماسك النّحوي في النّص: «**الّذي** لا يشكل **عليه** شيء و لا **يضجره** صراخ المستصرخين و لا **يبرمه** إلحاح الملحّين».

۲-۹. الفقرة التاسعة

أَحْمَدُهُ كَثيراً، وَأَشْكُرُهُ دائماً؛ عَلَى السَّرّاءِ والضَّرّاءِ وَالشِّدَّة وَالرَّخاءِ. وَأُومِنُ به و بِمَلائكَته وكُتُبه وَرُسُله. أَسْمَعُ لأمْرِه، وَ أُطيعُ، وَ أُبادِرُ إلى كُلِّ ما يَرْضاهُ، وَ أَسْتَسْلِمُ لِما قَضاهُ، رَغْبَةً فى طاعَتِه، وَ خَوْفاً مِنْ عُقُوبَتِه، لأنَّهُ اللَّهُ الَّذي لايُؤْمَنُ مَكْرُهُ وَلايُخافُ جَورُهُ.

۲-۹-۱.دراسة أسلوبية

و أخيراً يستنتج النّبيّ (ص) أنّه سبحانه و تعالى بكل ما بيّن من صفاته، مستحق الشّكر و جديربه و بالحمد على كلّ حال من قبل المخلوقين؛ إذ لـــ... تعالى المنّة عليهم لخلقهم و إنشائهم و ابتداعهم و تصويرهم و إنعامهم و الفضل عليهم و العدل لهم و استجابة دعوتهم.

Archive of SID

www.SID.ir

ثمّ يبوح بموقفه(ص) من ا... تعالى و هو الإيمان به عزّ و جلّ و كتبه و رسله و ملائكته، و الإطاعة له و الاستسلام لقضائه رغبة في طاعته و الخوف من عقوبته. ثمّ يأتي بوصف لله تعالى و هو «لايؤمن مكره و لا يخاف جوره» فاختيار هذا الوصف لختام المقدّمة، ملائم لسياق الفقرة؛ إذ الموضوع في حمد الله سبحانه، ثمّ الطاعة و التسليم له رغبة في طاعته و خوفا من عقوبته؛ فهنا يبين النبي (ص) سبب الخوف و هو «لا يؤمن مكره و لا يخاف جوره» و اختار *المكر و الجور* لبيان أنواع من العقوبة، ففي الواقع الجملة الأخيرة هي الخاصّ بعد العامّ. إضافة إلى أنّ هذا الختام لمقدّمة هذه الخطبة، فيه إيحاء لكلّ من يريد أن لا يطيع الله في أمره الذي يريد النبي (ص) إبلاغه الناس.

فهكذا تنتهي هذه المقدّمة الوصفية التوحيديّة للخطبة الّتي بدأت ببيان الحمد لله المتوحّد المتفرّد المحيط علمه بكلّ شيء و الكريم الحليم المتفضل المتطول على جميع من خلق. و قد ذكرت فيها صفات تتعلّق بالخلقة بلا احتذاء أمثلة امتثلها، و لا مشاورة مشير و لا معاونة معين؛ ثمّ العلم بالمكنونات و المضمرات و السرائر و القدرة و القوّة و الغلبة على كلّ شيء. و الأهمّ من كلّ هذا وحدانيته سبحانه و تنزهه عن الخلق، و أنّه تعالى عزيز غفار، لا يبرمه إلحاح الملحين و لا يضجره صراخ المستصرخين و هو مستحقّ الحمد و الشكر في جميع الأحوال، و رغم كلّ هذا لا يؤمن مكره و لا يخاف جوره.

فيبدو أنّ كلّ الصفات المشار إليها، لها علاقة بالخطبة و ما يريد النبيّ (ص) إبلاغه الأمّة و اختيارها أحسن اختيار لا يمكن استبدال صفة بسائر صفات ا... عزّ و جلّ حسب سياق الخطبة. فأمره أمر هامّ، يبيّن طريق السعادة والشقاوة حتّى القيامة و من جهة أخرى أمر صعب، يمكن أن لا يخضع له كثير من أبناء المجتمع، فبحاجة إلى تمهيد طويل ليذّكرهم خالقهم و مُنعمهم مع صفاته التوحيدية كأوّل عقيدة توحيدية، ثمّ الخلقة و الإنشاء ليذَكّروا أنّهم لم يكونوا شيئا و خلقهم ا... تعالى بقدرته، فبيده سبحانه تدبيرهم و تقديرهم و إمضاء أمورهم و قضاءها، فإن قضى بإمارة أمير المؤمنين فلولايته سبحانه عليهم و قدرته على التدبير و علمه بمآل الأمور و حوادث الدّهور. ثمّ قدرته و قوّته ليبين و إن لا يطيعوا أمره لا يضرّه شيء، بل الضرّ لأنفسهم لأنّه لا تؤمن عقوبته. ثمّ علمه بالمكنونات و الخفيات و مضمرات القلوب ليعلموا أنّهم و إن يخفوا شيئاً في صدورهم فلن خفى عليه عزّ و جلّ الخفيات، فيثيب أو يعاقب حسب ما في القلوب من الحبّ و البغض لوليّ الله تعالى. ثمّ غفرانه و رحمته و كرمه و منّه و فضله و طوله على المخلوقين و أنّه تعالى لا يملّه سؤال المخلوقين و لا يضجره صريخ المستصرخين، فالباب مفتوح لكلّ من يريد ا... سبحانه و غفرانه أو

Archive of SID

www.SID.ir

الإنابة إليه. و أخيراً يوضح النبيّ (ص) عقيدته الحقّ في الله تعالى و يعدّه مستحقّاً للحمد و الشكر في كلّ الأحوال بسبب نعمه و لا سيّما هذه النعمة الأخيرة التي يريد أن يبيّنها للنّاس؛ فيحمده في نهاية تمهيده كما بدأ بالحمد ليدخل في صلب الموضوع و إعلان الولاية.

النتيجة

١. يستنتج ممّا سبق أنّ خطبة الغدير قد ألقيت في ظروف يتهيّأ لها التّأثير البالغ في السّامعين، فالظروف الاجتماعية والنّفسانية كانت تتطلّب إلقاء خطبة مثل هذه في ذاك المكان و الزّمان و إن كانت غير هذه الظروف، لم تترك الخطبة أثرها في نفوس السّامعين. ففي ذاك النّسيج الاجتماعي قد تشكّل خطاب منتظمة أجزاؤه، مرتبطة بعضها ببعض، في غاية الانسجام.

٢. فالنبّي (ص) في استراتيجية خطابه، يستعمل آليات إقناعية مختلفة من استعمال ألفاظ مناسبة و الموسيقى الملائم للنص و الأساليب المنسجمة مع النص لبلوغ غايته و هي إقناع المخاطبين و التأثير في نفوسهم.

٣. فمن جهة اللّغة و الألفاظ و حسن انتقائها، فالألفاظ في غاية المطابقة للمعاني و اختيارها لم يكن دون تروٍّ و تأمّلٍ.

٤. ثمّ من جهة الموسيقى، فتبيّن أنّ الخطبة موزونة في كلّيتها لكنّها تتغيّر قليلاً بتغير المعاني، و ما في موسيقى النّص من الشّدّة و اللّيونة و الارتفاع و الانخفاض، لا يسبّب تعب السّامع بل له أثر في استرعاء انتباه السّامعين لإصغائهم للخطبة و يساعد على انتقال المعنى. و النّبرات الدّلاليّة الّتي تبيّن موضع التّأكيد إضافة يؤدي إلى فهم النّص أكثر و هذا يدلّ القارئ على مدى أهمّيّة الموضوع. ثمّ ما للحروف مع صفاتها الخاصة لها، من الدلالات المعنوية الّتي تهدي المخاطب ليبلغ المعنى المنشود.

٥. و أمّا من ناحية الأسلوب و المضمون، فالأساليب المستعملة كلّها متناسبة للمعاني المقصودة و يبدو أنّ مقام الخطاب و حال المخاطب و في الواقع السياق، له أثر بالغ في اختيار أساليب تبين المعاني الّتي يقصدها الخطيب. فالمرسل بذل قصارى جهده لينتقل خطابه إلى المرسل إليه، فظهرت خطبة الغدير في قمّة النثر الفنّي بكلّ مؤهلاتها الأدبية و ميزاتها الفنية.

الهوامش

١. النصّ الكامل للخطبة قد روي في تسعة كتب شيعية بالأسناد المتصلة في روضة الواعظين لابن فتّال النيشابوري(د. ت، ٨٩/١)و الاحتجاج للشيخ الطبرسي(د. ت، ٦٦/١). و اليقين للسيّد بن طاووس (١٤١٣، ٣٤٣). و نزهة الكرام للشّيخ محمّد بن الحسين الرّازي (١٣٦١، ج١/١٨٦). و الإقبال لسيّدبن طاووس (١٤١٨، ٤٥٤). و العدد

Archive of SID

www.SID.ir

القوية للشّيخ علي بن يوسف الحلّي (۱۶۹، ۱۴۰۸) و التّحصين للسيّد بن طاووس(۱۴۰۶، ۵۷۸) و الصّراط المستقيم للشيخ علي بن يونس البياضي (د. ت، ۳۰۱/۱) و نهج الإيمان للشّيخ علي بن حسين بن جبر(د. ت، ۹۲). و العلماء المتأخرّون قد نقلوا الخطبة من هذه المصادر نحو العلامة االمجلسي في بحار الأنوار(۲۰۱/۳۷) و الشيخ الحرّ العاملي في إثبات الهداة (۱۰۴/۲) ثمّ السيد البحراني في كشف الهمم(۱۹۰) و علم الهدى خراسانى في نهج الخطابة (۱۳۷۴: ۱۵۳-۱۰۴).

۲. هناک أحاديث كثيرة في تبيين مفهوم هذه المصطلحات ممّا لا يستوعبها هذا الوجيز؛ فراجع الصدوق، د. ت: ۳۳۲. و الكليني، ۱۳۶۵، ج۱: ۱۴۶. و المجلسي، ج۴: ۹۲ و ۱۰۲/۵-۱۳۳.

Archive of SID

www.SID.ir

المصادر

الف. الكتب

- القرآن الكريم

١. ابن طاووس، علی بن موسی (١٤١٨)؛ ***إقبال الأعمال***، قم، مكتبة العالم الاسلامی.

٢. ـــــــــــــــــ (١٤١٣)؛ ***اليقين في إمرةأامير المؤمنين علي بن أبي طالب*** (تحقيق: محمدباقرانـــصاری)، قم، مؤسسة دار الكتاب الجزائری.

٣. ابن منظور، محمدبن مكرم (١٣٠٠)؛ ***لسان العرب***، مصر، المطبعة المصرية.

٤. ابن هشام الحميری، عبد الملک (بی تا)؛ ***سيرة ابن هشام***، بيروت، دار المعرفة.

٥. أنصاري، محمد باقر (١٣٨٦)؛ ***سخنرانی استثنايی غدير***، قم، دليل ما.

٦. ـــــــــــــــــ (١٣٨٨)؛ ***اسرار غدير***، قم، نشر فدک.

٧. البريسم، قاسم (٢٠٠٠)؛ ***منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري***، بيروت، دار الكنوز الأدبية.

٨. ـــــــــــــــــ (٢٠٠٥)؛ ***علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة***، بيروت، دار الكنوز الأدبية.

٩. البلاذري (١٩٤٧)؛ ***أنساب الأشراف***، تحقيق: شيخ محمد باقر المهدي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١٠. بهرامپور، شعبانعلي (١٣٧٩)؛ ***درآمدي بر تحليل گفتمان***، *گفتمان و تحليل گفتماني*، چاپ اوّل، د. م، منشورات فرهنگ گفتمان.

١١. البهنساوي، حسام (٢٠٠٥)؛ ***الدراسات الصوتية عند علماء العرب و الدرس الصوتي الحديث***، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

١٢. حرّ عاملي، محمد بن حسين (١٣٨٥)؛ ***إثبات الهداة***، تهران، دار الكتب الإسلامية.

١٣. الحلّي، جمال الدين أحمد بن محمد (١٤٠٦)؛ ***التحصين في صفات العارفين***، قم، مدرسة الإمام الهادي.

١٤. ـــــــــــــــــ (١٤٠٨)؛ ***العدد القوية***، قم، مكتبة آية الله المرعشي.

١٥. الحموي، ياقوت (١٣٨٠)؛ ***معجم البلدان***، تهران، سازمان ميراث فرهنگی.

١٦. حنفي، حسن (١٩٩٨م)؛ ***تحليل الخطاب***، **المؤتمر العلمي الثالث**، تحليل الخطاب العربي (بحوث مختاره) الطبعة الأولى، عمان، جامعه فيلادلفيا.

١٧. خراساني، علم الهدى(١٣٧٤)؛ ***نهج الخطابة***، تهران، كتابخانه صدر.

١٨. رازي، محمد بن حسين (١٣٦١)؛ ***نزهة الكرام و بستان العوام***، د. م، د. ن.

١٩. الراغب الإصفهاني، حسين بن محمّد (د. ت)؛ ***معجم مفردات ألفاظ القرآن***، تحقيق: نديم المرعشي، قم، المكتبة الرضوية.

٢٠. شرشار، عبد القادر (٢٠٠٦)؛ ***تحليل الخطاب و قضايا النص***، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.

٢١. الشهري، عبد الهادي (٢٠٠٤)؛ ***إستراتيجيات الخطاب***، الطبعة الأولى، *بيروت، دار الكتب الجديد المتّحدّة.*

٢٢. الصدوق، محمد بن علي ابن بابويه (١٩٦٩)؛ ***علل الشرائع***، نجف، المكتبة الحيدرية.

٢٣. ـــــــــــــــــ (د. ت)؛ ***التوحيد***، الطبعة الثانية، قم، جامعه مدرسين حوزه علميه قم.

٢٤. صفوت، أحمد زكي (د. ت)؛ ***جمهرة خطب العرب***، بيروت، المكتبة العلمية.

Archive of SID

www.SID.ir

۲۵. الطبرسي، أحمدبن علي (۱۹۸۹)؛ ***الاحتجاج***، بيروت، الأعلمي للمطبوعات.
۲۶. العاملي النباطي، أبي محمد علي بن يونس (۱۳۸۴)؛ ***الصراط المستقيم***، د. م، الكمتبة المرتضوية لاحياء الآثار الجعفرية.
۲۷. العسكري، ابو هلال (د. ت)؛ ***الفروق اللغوية***، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، د. م، دار العلم و الثقافة.
۲۸. الكليني، م حمد بن يعقوب(۱۳٦٥ش)؛ ***أصول الكافي***، تهران، دار الكتب الإسلامية.
۲۹. المجلسي، محمّدباقر (د. ت)؛ ***بحارالأنوار الجامعة لدررأخبار الأئمة الأطهار***، طهران، مؤسسةالإسلامية.
۳۰. مصطفى، إبراهيم و آخرون (۱٤۲٦)؛ ***المعجم الوسيط***، الطبعة الخامسة، تهران، مؤسسة الصادق للطباعة و النشر.
۳۱.النيشابوری، محمد بن فتال (د. ت)؛ ***روضة الواعظين***، قم، منشورات الرضي.

ب. المجلات

۳۲. ميرزايي، فرامرز و ناهيد نصيحت (۱۳۸۴) **روش گفتمان كاوی شعر**، مجلة الجمعية الايرانية للغة العربية و آدابها، شماره ۴، صص ۴۵
۳۳. روشن فكر، كبری و دانش محمدی (۱۳۸۸)؛ ***تحليل گفتمان ادبی خطبه های حضرت زينب (س)***، مجلة سفينه، شماره ۲۲، صص ۱۲۷-۱۴۹
۳٤.روشن فكر، كبری و فاطمه أكبر زاده (۱۳۹۰)؛ ***تحليل گفتمان انتقادي خطبه فدک حضرت زهرا***، منهاج. الرقم السابع، صص.

Archive of SID

www.SID.ir

فصلنامه نقد و ادبیات تطبیقی (پژوهش‌های زبان و ادبیّات عرب)
دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه رازی - کرمانشاه
سال اوّل، شماره ٤، زمستان ۱۳۹۰ هـ‌ش/ ١٤٣٣ هـ‌ق/ ۲۰۱۲ م

تحلیل خطبه غدیر به شیوه تحلیل خطابه ادبی*

دکتر آفرین زارع

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز

طاهره طوبائی

کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز

چکیده

خطابه از دیرباز از مهمترین وسایل ارتباط میان افراد جامعه بوده تا آنجا که یکی از فنون گفتاری به شمار آمده که می کوشد در مخاطبان اثر گذارد، آنها را [نسبت به موضوع مورد نظر] قانع سازد و به فهم آنچه مقصود خطیب است، تحریک نماید. بنابراین، نقش زیبایی‌های ادبی در موفقیت خطیب و ایجاد تأثیر شگرف در شنوندگان و متقاعد نمودن ایشان، غیر قابل انکار است. در خطبه غدیر که به واسطه فصیح‌ترین سخنگو به زبان عربی (پیامبر اکرم- ص-) ایراد شده و آخرین خطابه و بلندترین (طولانی ترین) خطابه آن حضرت هم است، زیبایی‌ها و ویژگی‌های ادبی خاصی انتظار می رود؛ و چون این خطبه علی رغم داشتن شایستگی‌های قابل توجه که آن را در زمره نثر فنی والای ادبی جای می‌دهد، در ادبیات عربی، گمنام مانده و مورد بررسی شایسته قرار نگرفته، این مقاله در پی آنست که پس از معرفی مختصر خطبه، آن را با استفاده از روش تحلیل گفتمان ادبی، تحلیل کند؛ دستاورد این پژوهش آنست که پیامبر اسلام(ص) جهت رسیدن به هدف مورد نظر که همان جذب مخاطب؛ تأثیر گذاری در او و متقاعد نمودن وی درباره موضوع خطابه است، ابزار مختلفی بکار می‌برد؛ بنابراین به الفاظ، آوا، سبک و محتوا اهتمام می‌ورزد؛ همین امر باعث شده خطبه غدیر با تمام شایستگی‌های ادبی موجود در آن و ویژگی‌های زیبای هنری (فنی) در بلندترین جایگاه نثر فنی جای گیرد.

واژگان کلیدی: خطبه غدیر، تحلیل گفتمان، گفتمان ادبی، فرستنده (گوینده)، دریافت کننده (مخاطب).

---

* تاریخ دریافت: ۷۸/۲۰/ ۱۳۹۰ تاریخ پذیرش: ۱۱/۲۵/ ۱۳۹۰

رایانامه‌ی نویسنده مسئول: AZare@rose.shirazu.ac.ir afarin.zare@yahoo.com

Archive of SID

www.SID.ir